# المقاومة والاحتلال والشهداء في الخطاب المصري

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

لم يمنع قيام القاهرة بالوساطة بين إسرائيل وحركة حماس لوقف إطلاق النار استخدام مفردات لها دلالة في الخطاب الإعلامي المصري، فقد تصدر مانشيت جريدة الأهرام الرسمية يوم الجمعة عنوان بارز قال: إسرائيل تستهدف المنشآت الحيوية في غزة وارتفاع عدد الشهداء إلى 83. وفي السطر التالي ذكرت الصحيفة ذاتها: الاحتلال يستعد لاجتياح القطاع والمقاومة تطلق 1500 صاروخ.

تكررت العبارات الساخنة التي تؤكد أن هناك عدوانا سافرا على الشعب الفلسطيني، وتلاشت من جميع وسائل الإعلام المصرية الكلمات التي تحمّل حركة حماس وصواريخها مسؤولية ما يجري من ضحايا، بل شهد الأداء العسكري الذي وصل إلى بعض البلدات الإسرائيلية ثناء بين السطور.

وقد أثارت كلمات الشهداء، الاحتلال، المقاومة، استغراب البعض ممّن لا يعرفون مصر عن كثب، وبدت هذه النوعية من المفردات غير مألوفة بالنسبة إليهم، حيث تصوروا أن العلاقة المتوترة مع حماس لن تسمح باستخدام كلمات لها مدلول سياسي في الوجدان العربي، بل اعتقدوا أن القاهرة ستجد في القصف الإسرائيلي فرصة للتخلص من مخزون سلاح كتائب عزالدين القسام، الجناح العسكري لحماس.

**أربعة عقود خرجت فيها مصر من الصراع المباشر مع إسرائيل لكنها لم تتنصل من مسؤوليتها حيال القضية الفلسطينية وابتكرت منهجا وصف بـ«السلام البارد» لتخطي العقبات التي وضعتها التسوية في طريقها**

من راودهم التقدير السلبي السابق أصيبوا بدوار سياسي عقب سماعهم رئيس المكتب السياسي لحماس إسماعيل هنية يردد في كلمة له بالدوحة، مساء الجمعة، "مصر وما أدراك يا إسرائيل من مصر"، في إشارة يمكن أن تفهم على وجوه متعددة، وتوحي في مجملها بأن العلاقة مع قيادة الحركة في المحطات الرئيسية تبتعد عن الحسابات الأيديولوجية، وتصل إلى مستوى مرتفع من الانسجام، بدليل أن القاهرة أكدت لتل أبيب أنها الضامن لالتزام المقاومة بوقف إطلاق النار.

تلعب الجغرافيا السياسية دورا مهما في علاقة مصر بالقضية الفلسطينية، فتاريخيا لم تنخل عنها، لأنها جزء من أمنها القومي، وكانت عنصرا فاعلا في جميع الجولات العسكرية التي خاضتها الدول العربية في مواجهة إسرائيل، حتى مشروع السلام الذي تبنته إدارة الرئيس الأميركي الأسبق جيمي كارتر وضع القاهرة هدفا أساسيا له كي تخرج مصر من معادلة الصراع معها.

مضت أربعة عقود خرجت فيها مصر من الصراع المباشر مع إسرائيل، لكنها لم تتنصل من مسؤوليتها حيال القضية الفلسطينية، وابتكرت لنفسها منهجا وصف بـ"السلام البارد" لتخطّي العقبات التي وضعتها التسوية السياسية في طريقها.

تمكنت الإدارة المصرية الراهنة من تغيير التوازنات العسكرية في سيناء، بما قلّص من مساحة الفراغ الممتد في كثير من المناطق، ما أثار غضب قيادات إسرائيلية عدة، لأن الترتيبات الأمنية الجديدة التي تمت بموجب الحرب التي تخوضها مصر ضد تنظيمات إرهابية في سيناء رسخت لواقع قد يمثل إزعاجا لإسرائيل لاحقا.

عندما تشددت إسرائيل في استمرار قصفها على قطاع غزة ألمحت القاهرة إلى إمكانية إعادة النظر في بعض الملفات بين البلدين، في إشارة تعني أن التصرفات التي تقوم بها قوات الاحتلال يمكن أن تكبّد الدولة العبرية خسائر فادحة على المستوى الاستراتيجي، وبدلا من البحث عن اتفاقيات سلام مع دول بعيدة عن المواجهة قد تخسر دولا قريبة منها.

ينطوي هذا الخطاب على مجموعة من الرسائل، أهمها أن مصر لن تقف صامتة أمام الانتهاكات الإسرائيلية المتكررة، وظهرت تجليات هذا المحتوى في الجهود الدبلوماسية الحثيثة التي تبذلها القاهرة مع جهات مختلفة داخل مجلس الأمن وخارجه، لحض القوى المؤثرة على التعجيل بإصدار قرار دولي يجبر حكومة بنيامين نتنياهو على القبول بوقف فوري لإطلاق النار.

ظهر التلاحم المصري في بعض التصرفات الرمزية مع المقاومة، خاصة تلك المتعلقة بفتح معبر رفح وتسهيل دخول الطواقم الطبية وخروجها من سيناء إلى غزة والعكس، وتوفير خدمات علاجية للمصابين جراء القصف الإسرائيلي، وهي إشارة تعزز التلاحم مع الشعب الفلسطيني، وتمحو دعاية سوداء أوحت بغلق معبر رفح في وجوه الجرحى، وأن مصر تخشى من هجرة جماعية من القطاع إلى سيناء.

تتعامل مصر هذه المرة مع الأزمة برشاد سياسي وأمني، جوهره الوقوف في صف الشعب الفلسطيني، وتضييق هامش الحركة أمام إسرائيل ومنعها من ترسيم حركة الأطراف الإقليمية بالطريقة التي تريحها وتضرّ بالأمن القومي العربي.

تجد القاهرة في ما يجري من تطورات عسكرية فرصة لتأكيد محورية دورها الإقليمي، والذي حاولت بعض الدول اختطافه، وسعت دول أخرى إلى تغيير القواعد العربية في الصراع مع إسرائيل من خلال توطيد قنوات التعاون معها، والقفز على الجغرافيا السياسية التي منحت مصر دورا مركزيا في حالتي الحرب والسلام.

أعادت الأعمال العسكرية القضية الفلسطينية إلى الواجهة، وربما تضعها ضمن أولويات المجتمع الدولي بعد أن توارت خلال الفترة التي شهدت فيها المنطقة صراعات عديدة، من سوريا والعراق إلى اليمن وليبيا، الأمر الذي يمنح فكرة العودة إلى طاولة المفاوضات قبلة حياة، في ظل اتساع نطاق التعاطف مع الشعب الفلسطيني.

احتاجت مصر نحو عشر سنوات كي تعيد ترتيب أوراقها الإقليمية، وتأكدت أن فترة انكماشها خلقت واقعا يصبّ في صالح دول الجوار العربي، بدءا من إسرائيل وحتى تركيا ومرورا بإيران وإثيوبيا، ومن الضروري استثمار جميع الأدوات لتصبح مصر لاعبا مهما وسط هؤلاء وتتصدى لمن يتجاوز دوره، لأن غيابها ضاعف من تطلعات الدول الأربع للسيطرة على مفاصل القرار العربي.

يشير التغير في الخطاب الإعلامي إلى تغير مماثل في الأداء السياسي، ظهرت ملامحه على استحياء السنوات الماضية عبر استدعاء القضية الفلسطينية والتركيز على ثوابتها ولمّ شمل الفصائل الوطنية، لكن لم ينتبه كثيرون إلى المعاني التي حملها ذلك في خضم الاندفاع وراء ما بدا كأنه خصومة أبدية بين القاهرة وحماس.

حافظت مصر على علاقة جيدة مع حماس، وغضّت الطرف عن الكثير من خطاياها لزعزعة الأمن في سيناء، وأدركت أنها قادرة على ضبط الأمور في غزة أو انفلاتها، ومن الواجب زيادة أطر التعاون والتنسيق معها، وتحويلها من حركة قد تزعزع الأمن في سيناء إلى وسيلة لضبطه عبر التوصل إلى حزمة من الاتفاقيات والتفاهمات الأمنية.

ناهيك عن إجراءات محكمة تحول دون حدوث مفاجآت غير متوقعة، وما جعل مصر أقل انزعاجا هذه المرة من حدوث طوفان بشري يقتحم حدودها أن سيناريو اقتطاع جزء من سيناء وضمه إلى غزة لتحويله إلى وطن بديل طواه النسيان بعد سقوط حكم الإخوان، ويجب أن تنصب الجهود نحو العدو الحقيقي للفلسطينيين.

# العراق.. دم الفتى إيهاب يشعل أوار الثورة

د. باهرة الشيخلي
كاتبة عراقية

مقتل العراقي إيهاب جواد الوزني، وإن لم يكن الأخير ولن يكون، فجّر الغضب في محافظات وسط العراق وجنوبه وفي العاصمة بغداد.. أما غضب المحافظات الغربية والشمالية فقد ظل مكتوماً لأن سيف المادة (4 إرهاب)، التي يسمّيها العراقيون (4 سنّة)، في إشارة إلى السنّة العرب، مسلّط على رقابهم.

أصابع الاتهام كلها في جرائم اغتيال الناشطين العراقيين أو قتلهم أو اختطافهم وتعذيبهم ومن ثم تصفيتهم موجهة إلى إيران وميليشياتها الولائية، وحاولت إيران إبعاد النظر عنها وذر الرماد في العيون، من خلال مقال ركيك غير مقنع بثته، عبر قناتها الفضائية "العالم"، زعمت فيه أن أميركا وإسرائيل والرجعية العربية، هي التي تقتل الناشطين للنيل مما سمته "الأخوة الإيرانية العراقية".

أشار المقال إلى أن بعضهم يرى أن مثل هذه الجرائم، كجريمة اغتيال الناشط الوزني، تأتي، عادة، قبل أيّ عملية انتخابية، بهدف خلط الأوراق وتعكير الأجواء، خاصة أنها جاءت في خضم الاستحقاق الانتخابي، كمحاولة يائسة للتأثير على الانتخابات، بهدف إبقاء العراق في الفوضى، وهناك من قال غير ذلك، إلا أن الهدف الثابت من وراء هذا السيناريو الفاشل كله، وفقاً للمقال، هو النيل، من "الأخوة الإيرانية العراقية".

ضرب المقال أسوأ مثل وأوضحه على التدخل الإيراني السافر في الشؤون الداخلية العراقية، عندما قال "فلم يقف إلى جنب العراقيين إلا إخوتهم الإيرانيون، وتجسدت هذه الحقيقة الناصعة في اختلاط دماء وأشلاء الشهداء الإيرانيين والعراقيين، وفي مقدمتهم الشهيد قاسم سليماني وأبومهدي المهندس، دفاعاً عن العراق ومقدساته واستقراره وأمنه".

وللمعلومات، فإن سليماني كان المندوب السامي الإيراني والحاكم بأمره في العراق يأمر فيُطاع.

تكرر تعبير "الأخوة الإيرانية العراقية" في هذا المقال المتهافت 5 مرات، وعرّج على اغتيال الثائر الكربلائي إيهاب الوزني متهماً الثلاثي، أميركا وإسرائيل والرجعية العربية، بزج اسم إيران في كل حادث قتل أو اغتيال، واتهم المقال بصريح العبارة شباب الحراك بأنهم نفذوا شقاً من المؤامرة ضد إيران حيث نزلوا "إلى الشارع لرفع شعاراتهم المعهودة للنيل من الأخوة الإيرانية العراقية، وحاولوا الاقتراب من القنصلية الإيرانية في كربلاء المقدسة".

السياسي والكاتب العراقي ضرغام الدباغ يقطع أن نظام ولاية الفقيه الإيراني وراء كل قتل واغتيال في العراق، وأن نشاطه الإجرامي قد ازداد، في الآونة الأخيرة، من خلال ميليشياته، لأنه بدأ يشعر بنهايته، إذ أخذ يحوص، ويكثر الحوصان في اليمن، ويشعر بقرب النهاية في لبنان، وفي سوريا.. ولا أحد يريده، في بلاد الرافدين. كان النظام يعول على أوهام، هو يعلم أنها أوهام، فهذا الشعب اتحد وقاتله وخيب آماله 8 سنوات في حرب الخليج الأولى.

نعم، نجحت طهران في خياطة ستائر من الأذناب والخونة العملاء، ولكن لكل شيء نهاية، وقد حلت النهاية، ليست التظاهرات ستسقطهم، التظاهرات هي عنفوان الشعب الأعزل، هي بطاقة تصويت دموية.. التظاهرات – الثورة قدمت قرابة ألف شهيد شباناً وبنات عراقيات. ولكن ما أسقطهم هو فشلهم المذهل.. الفشل التام الشامل في أن يقيموا نظاماً يمثل العراقيين كلهم، وفي أن يجلبوا للعراق الأمن والأمان، وفي أن يقدموا للشعب منجزات مقنعة، بل هم اقتلعوا وخربوا ما كان متوفراً منها، وفي ظل وجودهم، أصبح العراق ملعباً للقوى الأجنبية وساحة للصراع على المصالح.

**الحديث عن انتخابات حرة في ظل الضعف الحكومي وغياب سلطة الدولة كلام عبثي لا معنى له والنتيجة الحتمية سيطرة القوى التي تملك السلاح والمال على الانتخابات وصعود عناصر موالية لها**

لن تستطيع إيران تبرئة نفسها وعناصرها الولائية، فبعد مقتل الوزني اغتيل ناشط آخر هو الإعلامي أحمد حسن، الذي قتل في باب داره بالديوانية، كما تعرض الشيخ أحمد الإيدامي عميد السادة البو إيدام بقضاء عفك بمحافظة الديوانية، المعروف بدعمه لانتفاضة أكتوبر لعملية اغتيال نجا منها بأعجوبة، وجرت هذه العمليات كلها بالأسلوب نفسه، وتداول العراقيون معلومات مسرّبة من جهات استخبارية عراقية تقول إن الميليشيات قتلت الناشط الوزني، وهناك كتيبة الاغتيالات، التي يطلقون عليها تسمية "كتيبة النخبة التابعة لاستخبارات الحرس الثوري الإيراني" وتعمل هذه الكتيبة في مناطق الفرات الأوسط ويتجمّع عناصرها في فندق بباب بغداد في كربلاء لتسلم التعليمات الإيرانية المباشرة من قادة إيرانيين بحجة مكوثهم كزوار للعتبات المقدسة، وهذا الفندق يملكه الوزير السابق ومسؤول حركة حزب الله حسن راضي الساري.

الجميع يعرف القتلة، بمن فيهم رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي، لكنهم يخشونهم ويخافون بطشهم، فهؤلاء هم أنفسهم من نفذ اغتيال الروائي العراقي الدكتور علاء مشذوب والناشط فاهم الطائي، وهم يختفون، بعد تنفيذ كل عملية نوعية ضد ناشط معروف، لأيام، ثم يعودون إلى وكرهم مرة أخرى للتخطيط لعملية جديدة.

في تنديدها بعمليات الاغتيال التي يتعرض لها الناشطون المعارضون في العراق ولبنان أكدت حركة الناصريين الأحرار أن هذه الجرائم تجري تنفيذاً للمخططات الفارسية الإيرانية في وطننا العربي، إذ قال رئيس مجلس القيادة الدكتور زياد العجوز، إن ما بين سلسلة الاغتيالات التي تعرضت لها شخصيات وناشطون في السنوات الأخيرة في لبنان والعراق، تبقى الجهة المسؤولة عن ذلك واحدة، في إشارة إلى إيران، منوهاً إلى أن ما يحصل في العراق اليوم، حصل وما زال يحصل في لبنان حتى اللحظة، إذ أن ما بين الشهيد اللبناني لقمان سليم والشهيد العراقي الوزني، تبقى مدرسة القتل واحدة والجهة ذاتها، والأسلوب عينه والهدف مشترك.

بعد اغتيال الوزني، مباشرة، ظهر الميليشياوي عمار الشويلي وهو قيادي بأحد التيارات الولائية ليدعو ويحرّض على قتل أولاد الناشطين وإبادتهم "قبل أن ينضجوا ويصبحوا ناشطين مدنيين كآبائهم"، على حدّ قوله، وكذلك يدعو إلى سبي نساء الناشطين والمتظاهرين، في سابقة انتقامية لم تحصل من قبل.

فهل هناك دليل أوضح من هذا كله على "الأخوة الإيرانية العراقية" التي وردت في مقال قناة العالم خمس مرات!

دعت نقابة المحامين العراقيين شباب انتفاضة أكتوبر إلى الاستمرار بمتابعة مشوارهم الثوري حتى النهاية فإما النصر النهائي وإقامة مجتمع العدل والحرية والمساواة وإما الشهادة، حسب بيان أصدرته، بعد مقتل الوزني عدّت فيه أن هذه الاغتيالات خلقت حالة من الخوف والقلق بين صفوف أبناء الشعب والمجتمع، بعد أن أصبحوا جميعاً ضمن لوائح الموت والقتل والاغتيال، وما سبّبه ذلك من هلع وشعور بعدم الاطمئنان والعيش الآمن.

بات الحديث عن انتخابات حرة في ظل الضعف الحكومي وغياب سلطة الدولة كلاماً عبثياً لا معنى له والنتيجة الحتمية سيطرة القوى التي تملك السلاح والمال على الانتخابات وصعود عناصر موالية لها ولذلك فإن الدعوة إلى مقاطعة الانتخابات واعتبار كل من يشارك فيها شاهد زور، أصبحت حديث الشارع العراقي اليوم، وهو ما دعا حركات سياسية عديدة إلى إعلان مقاطعتها للعملية السياسية وعدم المشاركة في الانتخابات المقبلة احتجاجا على اغتيال الوزني، ولتوقعها استمرار الاغتيالات في الأيام المقبلة، وأصبح شعار الانتفاضة "لا تعلنوا الحداد.. أعلنوا الثورة".

الواقع، أن الحراك الوطني أصبح بيتاً واحداً يضم العراق كله واختارت الأمهات الانضمام إلى أولادهن وبادر الآباء إلى رفع راية أبنائهم الشهداء، فقد بلغ السيل الزبى، بعد أن جاوز الظالمون المدى.

إن المكان والزمان يتحدان ويصيران لدى أبناء الرافدين نهجاً لن يتوقف عند وعود الحكومة وميليشياتها الإرهابية وسيمضي الشباب إلى تغيير الحاضر وبالعزيمة نفسها سيواصلون بناء الحياة.

وبالرغم من التحديات المميتة كلها التي تواجه ساحات الحرية فإنها لن تكون إلا دافعاً يتجدد، كل يوم، لانتزاع الوطن من القتلة أحزابا وميليشيات إرهابية.. وظن المستوطنون أن حاميتهم قنابلهم الدخانية وأسلحة إيران المشرعة في كل محافظة ومدينة، فخاب فألهم لأن الحراك الوطني السلمي المعبر عن هوية المواطنة وحقيقتها الكبرى ماض حتى يعود العراق إلى مكانه مركزاً للعلم والحرية والحكمة.

خلاصة القول، إن قنص ميليشيات الحشد الشعبي المتظاهرين منذ موجتها الأولى في عهد رئيس الوزراء السابق عادل عبدالمهدي، وحتى اللحظة الراهنة التي سقط فيها الفتى إيهاب شهيداً يدفع الحراك الوطني، أمام عدم اكتراث حكومة الكاظمي، إلى توجيه نداءات عاجلة إلى الأمم المتحدة ومراكز حقوق الإنسان الدولية والجامعة العربية.. والسلام على الشهداء.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk